



تاريخ الاستلام: 2021/05/12 تاريخ القبول: 2021/06/16 تاريخ النشر: 2021/06/30

أ. حنان بوكفوس¹ *

جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل (الجزائر)

Email : hanane.boukeffous@gmail.com

د. رضوان بواب²

جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل (الجزائر)

Email : Bouab.redouane@yahoo.fr

المخلص

تعد الخيارات المدرسية للأبناء خيارات استثمارية منبثقة عن رؤية مسبقة من قبل الخلية الأساسية الأولى وهي الأسرة، حيث تمنح للأبناء وفق رؤيتها فرص الاندماج في المجتمع، وتشكل هويتهم الفردية والاجتماعية، وتعمل على دعمهم وتوجيههم وتهيئتهم في مختلف مسارات حياتهم المستقبلية. هذه الخلية تشكل مناخا خصبا لتحديد فعاليته بجملة من المثبرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وتعمل على نقل المعايير والقيم التي تؤثر على نمط التفكير الاستراتيجي والعقلاني لدى الأبناء وعلى سيرورة اتخاذ القرارات اتجاه مختلف المواقف التي يعيشونها في مسارهم التربوي، والخيارات الأنسب لمسارهم التعليمي آخذين في الحسبان أصلهم الاجتماعي وقدرات وتطلعات أسرهم. وهدفنا في مقالنا هذا إلى معرفة محددات الأصل الاجتماعي ودوره في إعادة الإنتاج الاجتماعي عن طريق استثمار الأسرة في المسار التعليمي لأبنائها، بالإضافة إلى معرفة على الآليات والإستراتيجيات الموضوعية التي تبنى على أساسها خيارات الأبناء المدرسية.

الكلمات المفتاحية: الأصل الاجتماعي الأسرة، إعادة الإنتاج، الخيارات المدرسية، الأبناء.

Abstract

School options for children are investment options stemming from a prior vision by the first basic cell, which is the family, as it gives children, according to their vision, opportunities to integrate into society, and shapes their individual and social identity, and works to support, guide and prepare them in various future life paths. This cell forms a fertile climate whose effectiveness is determined by a set of social, economic and cultural stimuli, and it works to transfer the standards and values that affect the strategic and rational thinking style of the children and the decision-making process towards the various situations in which they live in their educational path, and the options that are most appropriate for their educational path, taking into account Their social origin and the capabilities and aspirations of their families. In our article, we aim to know the determinants of social origin and its role in social reproduction by investing the family in the educational path of its children, in addition to knowledge of the objective mechanisms and strategies on which children's school choices are based.

Keywords: social origin, family, reproduction, school options, children.

المقدمة : تعتبر الأسرة الكيان الاجتماعي الأول الذي يحتضن الفرد بالعناية والرعاية والتنشئة منذ مراحل عمره الأولى، وهي التي تشكل وجدانه الاجتماعي والثقافي، وترسخ في ذاته قيم ومعايير ومبادئ تمكنه من أداء أدواره المستقبلية والاندماج في المجتمع، ولذلك تعد المسؤول الأول في تشكيل شخصية الأبناء وفق نماذج اجتماعية وثقافية سائدة بطريقة عقلانية تسمح لهم باكتساب أنماط السلوك وطرق التفكير التي تمكنهم من تحديد اتجاهاتهم وسلوكياتهم؛ بدءاً بالجوانب المتعلقة بشخصياتهم وانتقالاً إلى مسارهم الدراسي واختياراتهم، وتنتهج لأجل ذلك ممارسات تربوية واستراتيجيات عقلانية في سبيل رسم تطلعاتهم وتصوراتهم نحو مستقبلهم الدراسي.

إن المتمعن في الواقع الاجتماعي التربوي يلاحظ وجود اختلاف في ميول الأبناء واستعدادهم ومستوى طموحهم واختياراتهم، وحتى في الآمال الكبيرة التي يسعون لتحقيقها، وتعود هذه التباينات بالدرجة الأولى إلى محددات أسرية تتعلق بما تملكه الأسرة من رؤوس أموال ثقافية واقتصادية واجتماعية ورمزية، والتي تشكل في مجملها الأصل الاجتماعي الذي يصنف الأسرة في هذه الطبقة أو تلك. فالمستوى الثقافي والتعليمي للوالدين، مستوى دخلهما، الوضع المهني، مكان السكن، مستوى لغة الأسرة وطابعها، الانتماء الطبقي والمكانة الاجتماعية وغيرها من المتغيرات التي تبنى على أساسها استراتيجيات الفعل التربوي الأسري والتي تعزز مسار توجهات الأبناء ونجاحهم أو تشكل عقبة أمام تطلعاتهم.

ويعتبر الأصل الاجتماعي من الدعائم الأساسية التي تلعب دوراً فعالاً في تحديد المسار الدراسي وتربية السلوكيات الاختيارية التي يبدأ في رسمها الأبناء منذ اكتشافهم لمعنى الاختيارات، وتهذيب ميولهم ودعمها أو توجيهها لبناء عقلائي وفق اختيارات إستراتيجية يمتد أثرها إلى تحديد مستقبل الأبناء السوسيو مهني، وهذا ما أكدته

العديد من الدراسات في مجال العلوم الاجتماعية والتربوية التي أظهرت نتائجها تأثير الأصل الاجتماعي للأسرة على المسار الدراسي للأبناء.

وبغض النظر عن الوسط الأسري في تحديد سلوك الأبناء وبناء تصوراتهم نحو توجيه مستقبلهم الدراسي توجيهها سليماً، فإنه توجد مؤسسات اجتماعية تربوية أخرى تدخل في بناء هذه الثنائية المتداخلة بين الأبناء ومستوى طموحهم الدراسي، وتنعكس في مجمل التجارب والأفكار التي تتشكل لديهم جراء احتكاكهم بها، ومن بين هذه المؤسسات نجد المدرسة التي لا يمكن إغفال دورها في تنشئة وتعليم الأبناء من خلال الوظائف التي تقوم بها (ضويفي، 2018، ص 311)، فالابن عندما يصل إلى المدرسة يكون تأثيرها عليه مرهوناً بمعطيات أسرية سابقة تشكل إرثاً يمارس دوره الكبير في سيرته المدرسية ونجاحه والرفع من مستوى تطلعاته، ولا يتوقف تأثير الأسرة بمجرد دخول الابن المدرسة بل يستمر قويا فاعلا في مستوى نجاحه وتحصيله (وظفة، الشهاب، 2004، ص 137) من خلال المتابعة المستمرة لكل ما تقدمه المدرسة من معارف وخبرات، إذ تتجسد هذه المتابعة في شكل تعاون بين الطرفين من أجل نجاح العملية التربوية التعليمية، وهنا قد يحصل التجانس بين المعطيات الأسرية والمدرسية مما يعزز نجاح التلميذ في اختياراته العقلانية أو قد يحدث العكس مما يشكل ذلك عقبة في سماء تطلعاته المدرسية. ومن هذا المنطلق يمكن القول أن الابن الذي ينشأ في أسرة ذات قواعد ومبادئ منظمة، وطرائق سلوك، ومهارات، وأدوات، وعلاقات خاصة، قد يجد في المدرسة تشجيعاً أكبر لأن ما تلقاه خلال التربية الأسرية يعزز مساره المدرسي قياساً إلى التلاميذ الذين لم تتح لهم مثل هذه المكتسبات، فالتلاميذ يدخلون المدرسة على مبدأ المساواة وتكافؤ الفرص، ولكن الأقوى هو الذي يصبح أكثر قوة وأكثر قدرة على تحقيق النجاح والتفوق (فرج الله، 2019، ص 39).

وتعمل الأسرة على تحصين كيانها الاجتماعي وهويتها التي تسعى إلى إنتاجها أو إعادة إنتاجها بزيادة فرص الاستثمار في مواردها من خلال عملية نقل رؤوس أموالها الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، والتي تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر على نمط التفكير لدى الأبناء، وعلى سيرورة اتخاذ القرارات تجاه مختلف المواقف التي يعيشونها في مسارهم التعليمي، مما يساعد في رسم معالم مستقبلهم انطلاقاً من خيارات فردية وجماعية تمكن الأبناء كفاعلين من بناء استراتيجيات عقلانية، وانتقاء الخيار الأفضل في مختلف محطات الفروع الدراسية ومسايرة اتجاه واحد للتكوين يضمن لهم ثمن الكلفة والعائد آخذين في الحسبان أصلهم الاجتماعي، ميولهم، وتطلعات أسرهم.

وعلى هذا الأساس وقصد بلوغ أهدافنا البحثية، سنركز في موضوع هذا البحث على مفهوم الأصل الاجتماعي ومحدداته ودوره في إعادة الإنتاج الاجتماعي، وعلى مفهوم الخيارات المدرسية والمقاربة السوسولوجية التي تناولته، كذلك سيتم التطرق إلى الطرق التي يتم من خلالها استخدام الأسرة لرؤوس أموالها واستثمارها في المسارات الدراسية لأبنائها، وكذا محاولة معرفة الآليات والإستراتيجيات التي على أساسها يتم إنتاج الخيارات المدرسية. وعليه يمكن طرح التساؤلات التالية:

- ما المقصود بالأصل الاجتماعي وما هي محدداته؟
- ما المقصود بالخيارات المدرسية وما هي المقاربة السوسولوجية التي تناولته؟
- فيم تتمثل الإستراتيجيات التي تتبعها الأسرة لإنتاج الخيارات المدرسية للأبناء؟
- ما هو واقع إنتاج الخيارات المدرسية لدى أبناء الأسرة الجزائرية؟

أولاً أهداف الدراسة: تتمحور أهداف هذه الدراسة في:

- البحث في التفاعلات الحاصلة بين ما يتوفر عليه مجال الأسرة من رؤوس أموال ثقافية واقتصادية واجتماعية ودورها في دعم وتوجيه الأبناء دراسياً.

- التعرف على دور الأسرة في تربية السلوكيات الاختيارية لدى الأبناء وتوجيهها.
- التعرف على الآليات والإستراتيجيات التي تتبعها الأسرة مع أبنائها لإنتاج خياراتهم المدرسية بطريقة عقلانية.
- الفهم المعمق لآلية إنتاج وإعادة إنتاج التفاوت الاجتماعي عن طريق استثمار الأسرة في المسار التعليمي لأبنائها.
- الوقوف على إشكالية إنتاج الخيارات المدرسية لدى أبناء الأسرة الجزائرية.

ثانيا أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية هذه الدراسة في محاولة تقصي الأثر الذي يحدثه متغير الأصل الاجتماعي للأسرة في إنتاج وتوجيه الخيارات المدرسية للأبناء، لما لهذه المسألة من أهمية بالغة في حياة الفرد وفي تحديد مساره الدراسي والمستقبلي. فالأسرة تعد المسؤول الأول عن تربية الأبناء وتنشئتهم لإعدادهم للحياة المستقبلية بالاعتماد على طرق وأساليب تربوية تعمل على إثارة الطموح لديهم، وتغرس فيهم بذور تصوراتهم المستقبلية، وتمكنهم من التخطيط للاختيار الأفضل في مختلف مراحل حياتهم الدراسية. إن موضوع الخيارات المدرسية وما ينطوي عليه من أبعاد اجتماعية وتربوية و اقتصادية؛ زاد من وعي الأسر بضرورة القيام باختيارات إستراتيجية مع أبنائهم تمكنهم من ولوج التخصصات العلمية والتقنية التي تفضي إلى المهن التي تعكس مكانة آبائهم، وبهذا تتحمل الأسرة جزءا من المسؤولية الاجتماعية والتربوية، وتكون من بين أهم العوامل المحددة لتوجه الفرد واختياراته الدراسية في كل مراحل حياته.

ثالثا: قراءة مفاهيمية لمصطلحات الدراسة:

1- الأصل الاجتماعي: يرى "مصطفى بوتفنوش" أن "الأصل يطبع المولود الجديد منذ اليوم الأول، منذ الصرخة الأولى، الطفل ينتمي إلى المجتمع، إلى قبيلته، إلى عشيرته

وإلى عائلته. كما أنه يعبر كذلك عن انتماء الآباء إلى وسط حضري أو ريفي" (زياني، 2019، ص 235).

وأشار "كولمان" في أعماله حول مسألة تكافؤ الفرص التعليمية إلى أن الأصل الاجتماعي هو الوحيد الذي يظهر تأثيره بوضوح في مستوى النجاح المدرسي. وإنه لمن الصعوبة بمكان استخلاص نتائج قطعية وواضحة فيما يتعلق بتأثير العوامل الاجتماعية والمدرسية الأخرى" (وظفة، الشهاب، 2004، ص 186).

ويعرف "علي أسعد وطفة" الأصل الاجتماعي بأنه: "نسق متكامل من الوضعيات الاقتصادية والاجتماعية التي تشكل بدورها الوسط الاجتماعي للفرد. وغالبا ما يحدد الأصل الاجتماعي للفرد في المجتمعات الصناعية بأوضاع الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد. وغالبا ما يشار إلى ثلاث طبقات أساسية في المجتمعات الصناعية وهي الطبقة البرجوازية والطبقة الوسطى وطبقة العمال ويتم تحديد أوضاع كل طبقة من خلال موقعها في سوق العمل ومن خلال عدد منظم من المؤشرات الواضحة التي تدل على الوضع الطبقي للفرد في هذه البلدان" (وظفة، 2011، ص ص 29، 30).

وقد أكدت الدراسات الفرنسية على أن طبيعة عمل الأب وتكوينه إلى جانب مداخله تؤخذ في الحسبان عند بناء متغير لقياس الأصل الاجتماعي للأبناء المتمدرسين، لكن يبقى في النهاية طبيعة العمل (نوع العمل) هو المحدد للمظهر الاجتماعي ويعد مؤشر على الطبقة الاجتماعية التي تحدد انطلاقا من مهنة الأب. أما في إيطاليا فيتم قياس الأصل الاجتماعي من خلال مستوى التكوين، ويرى كل من "كوبالتي" و "شزيروتو" أن المستوى الدراسي للأبوين يمكن أن يكون مقياس للأصل الاجتماعي للتلميذ، حيث بُنيت الدراسات الاجتماعية في إيطاليا حول التفاوت الاجتماعي، والارتباط الكبير بين الوضع الثقافي الذي يقاس بمستوى تكوين عائلة الأصل أكثر من المستوى الاقتصادي، والمستوى الدراسي للأبوين يؤثر على

مواصلة الأبناء لمسارهم الدراسي. أما في بريطانيا فالأصل الإثني يعد مؤشرا للأصل الاجتماعي، حيث قام كل من "جونسون" و"أل" بدراسة اهتمت إلى جانب طبيعة عمل الأب، بالأصل الإثني واعتباره مؤشرا للأصل الاجتماعي (بودبزة، 2015، ص ص 157، 158).

ومن خلال هذه التعاريف يمكن القول أن الأصل الاجتماعي هو الوسط الأسري والاجتماعي الذي ينتمي إليه الفرد، ويتحدد من خلال جملة من المؤشرات ذات طابع اقتصادي كالوضع المهني للوالدين، طبيعة عملهما، وضعهم المهني، مستوى الدخل، الممتلكات المادية، طبيعة السكن ومكان الإقامة، وأخرى ذات طابع ثقافي كالمستوى التعليمي للوالدين، أساليب المعاملة الوالدية، حجم الأسرة، المتابعة الوالدية، والممارسة الثقافية لمختلف النشاطات، وأخرى ذات طابع اجتماعي كالانتماء الطبقي، شبكة العلاقات المتبادلة والروابط الدائمة والمنفعية التي تمنح الفرد نوعا من المتانة الاجتماعية، بحيث تشكل في مجملها رؤوس أموال تمتلكها الأسرة وتعمل على توريثها لأبنائها من خلال الاستثمار في المسار التعليمي لأبنائها.

2- الأسرة: عرف "محمد عاطف غيث" الأسرة بأنها: "جماعة اجتماعية بيولوجية نظامية تتكون من رجل وامرأة (تقوم بينهما رابطة زواجية مقررّة) وأبنائهما ومن أهم الوظائف التي تقوم بها الجماعة، إشباع الحاجات العاطفية، وممارسة العلاقات الجنسية وتهيئة المناخ الاجتماعي والثقافي للملائم لرعاية وتنشئة وتوجيه الأبناء" (غيث، 2005، ص 176).

ويعرفها "أوجبرن" و "نيمكوف" على أنّها: "رابطة اجتماعية من زوج وزوجة وأطفالهما أو بدون أطفال أو من زوج بمفرده مع أطفاله، أو من زوجة بمفردها مع أطفالها، وقد تكون أكبر من ذلك وتشمل أفرادا آخرين مثل الجدود والأعمام أو

الأقارب، يعيشون في منزل واحد ويتفاعلون تفاعلاً مشتركاً" (الناعوري، مزاهرة، 2009، ص23).

ويعرفها "بيل" و "فوجي" بأنها الوحدة البنائية المكونة من رجل وامرأة يرتبطان مع أطفالهما بطريقة منظمة اجتماعية، سواء كان هؤلاء الأطفال من صلبهما أو عن طريق التبني" (بيومي، ناصرة، 2005، ص20).

ويعرف "بوجاردوس" الأسرة بأنها: "جماعة اجتماعية صغيرة تتكون عادة من الأب والأم وواحد أو أكثر من الأطفال، يتبادلون الحب ويتقاسمون المسؤولية، وتقوم بتربية الأطفال، حتى تمكنهم من القيام بتوجيههم وضبطهم، ليصبحوا أشخاصاً يتصرفون بطريقة اجتماعية" (الكندري، 1992، ص23).

ومن خلال هذه التعاريف تتجلى لنا المكانة الهامة التي تحتلها الأسرة في المجتمع، والدور الرئيسي الذي تلعبه في تربية الأبناء وتنشئتهم باعتبارها المؤسسة الاجتماعية الأولى التي تتكفل بمحاجاتهم النفسية والجسدية والاجتماعية وهي الوسيلة التي بواسطتها يتمكن الأبناء من الاندماج في المجتمع، وعليه يمكن تعريف الأسرة بأنها جماعة اجتماعية تتكون من رجل وامرأة مع أبنائهما، يرتبطون فيما بينهم بروابط الزواج أو الدم أو التبني، يتفاعلون فيما بينهم وفقاً لأدوار محددة، تقوم بوظيفة تربية الأطفال وتنشئتهم لإعدادهم للحياة المستقبلية.

3- الخيارات المدرسية: يشير مصطلح الخيار إلى ذلك القرار أو البديل الذي يتم اختياره من بين مجموعة من البدائل المتاحة أمام الأفراد في موقف معين، وفقاً لقدراتهم وطموحهم واستعداداتهم كونه البديل الذي يمثل أفضل طريق للوصول إلى أهداف مسطرة سلفاً وبالتالي تحقيق أفضل النتائج.

أما مصطلح الاختيار فيشير معناه حسب معجم مصطلحات علم النفس إلى: (الدسوقي، 1988، ص238).

- الانتقاء بين شيئين أو فعلين متناوبين أو أكثر عادة.
 - فترة من التفكير والتدبر .
 - البديلين أو البدائل المعروضة بكفاية وأنها تدرك ويجري التفكير فيها على أنها ممكنة.
 - مرحلة عزم قوامها انتخاب أحد البديلين أو أكثر.
- وقد جرى توظيف مصطلح الخيارات المدرسية في هذه الدراسة للدلالة على عملية المفاضلة ما بين التعليم العام والتكنولوجي، أو ما بين العلوم الطبيعية والآداب، أو ما بين المؤسسة التعليمية الحكومية والخاصة، أو ما بين المؤسسة التعليمية الجيدة والمؤسسة الأضعف في الأداء، أو ما بين المؤسسة القريبة والبعيدة، وحتى ما بين الدروس الرسمية والدروس الخصوصية، وكذلك ما بين التكوين قصير المدى والتكوين طويل المدى... وبالتالي فالخيارات المدرسية تجسد وبشكل عميق توجهات الأبناء خلال مسارهم الدراسي.

رابعاً: محددات الأصل الاجتماعي: تتعدد محددات الأصل الاجتماعي لتتجلى

فيما يلي :

- 1- **الرأسمال الثقافي:** يعرف "بيير بورديو" رأس المال الثقافي بأنه "مجموع الرموز والمهارات والقدرات الثقافية واللغوية والمعاني التي تمثل الثقافة السائدة، والتي اختيرت لكونها جديرة بإعادة إنتاجها واستمرارها ونقلها خلال العملية التربوية، ويركز هذا المفهوم على إشكال المعرفة الثقافية والاستعدادات التي تعبر عن رموز داخلية مستدجبة تعمل على إعداد الفرد للتفاعل بإيجابية مع مواقف التنافس وتفسير العلاقات والأحداث الثقافية" (زياني، 2019، ص 27).

ويوجد الرأسمال الثقافي كما تصوره بورديو في ثلاثة أشكال (الخويلدي، 2013،

استرجع من الموقع الإلكتروني: www.ahewar.org)

- شكل متجسد في الهاييتوس الثقافي وتكمن وظيفته في جعل الإنسان كائنا اجتماعيا ومشاركاً في الفضاء العام، ويشمل الميول والنزعات الراسخة والعادات المكتسبة من عمليات التنشئة الاجتماعية، حيث يكون الرأسمال الثقافي هنا متلبساً بذات المتعلم و متجذراً فيها في شكل استعدادات دائمة يعبر عنها الجسد ذاته مثل الهيئة، التصرف، طريقة الكلام، العلاقة الميسورة بين المدرسة والثقافة.

- شكل مُمَوَّض في مستوى ثانٍ يتكون من منافع ثقافية مثل الكتب والمعاجم والموسوعات، الأعمال الفنية والأدبية، الأدوات الرقمية...على أنه لا يكفي أن يورث الأطفال أدوات الثقافة هذه، وإنما ينبغي أن يورثوا طرائق استعمالها والاستفادة منها. كما يمكن أن يكون رأس المال الثقافي هنا على هيئة ممارسات ثقافية كزيارة المتاحف والمكتبات، ارتياد المسارح ودور الثقافة والسينما، حضور الندوات وغير ذلك من ممارسات مختلفة في مجال الثقافة.

- شكل مؤسسي في مقام ثالث، ويتمثل في مجموع الشهادات العلمية التي تمنحها المدرسة اعترافاً بجدارة المتحصل عليها، وعلى هذا النحو يصير رأس المال الثقافي رأس مال اقتصادي لدوي الشهادات الراقية، على أن الحصول على هذه الشهادات في حد ذاته لا يضمن فعليا الحصول على وظائف معينة باعتبار ضرورة المهارة في معرفة الوجوه الناجعة في توظيف الشهادة.

2- الرأسمال الاقتصادي: يحتل الرأسمال الاقتصادي مركز الصدارة عند الباحثين في تفسير وعلاج الكثير من الظواهر التي تتعلق بالحياة الإنسانية وعلاقات الناس ببعضهم البعض، بل وحتى بين الأمم، وذلك بعد أن اتضح دوره في التأثير على

سلوك الفرد وتكوين شخصيته واتجاهاته، بل وقد تبين أن الأمر لا يقف عند تأثيره على الفرد، وإنما يتعداه إلى التأثير في تكوين الطبقات الاجتماعية وما تقوم عليه من تنافر أو وئام فيما بينها وبين غيرها من الطبقات الأخرى (معاش، 2018، ص33). ويقصد بالرأسمال الاقتصادي الرأسمال المادي الذي يؤدي إلى زيادة قدرة أفراد المجتمع على العمل وإنتاج الثروة أو القيام بالخدمات الاقتصادية، كذلك هو شكل من أشكال الإنتاج والتبادل اللامتكافئ للخيرات والثروات الاقتصادية بين المالكين وغير المالكين، وهو الذي يقيس موارد الفرد المادية ويرصد ثرواته وممتلكاته ويحدد دخله الشهري والسنوي (فرج الله، 2019، ص42).

ويحدد **علي أسعد وطفة** المستوى الاقتصادي للأسرة بمستوى الدخل المادي الحاصل، ويقاس ذلك من خلال الرواتب الشهرية أو الدخول السنوية التي يتقاضاها أفراد الأسرة. وغالبا ما تحسب نسبة الدخل بتقسيم الدخول المادية على عدد أفراد الأسرة، كما يقاس المستوى الاقتصادي أحيانا بقياس مستوى ممتلكات الأسرة من غرف، أو منازل، أو سيارات، أو عقارات، أو من خلال الأدوات التي توجد داخل المنزل (وطفة، الشهاب، 2004، ص145).

ويلعب الرأسمال الاقتصادي للأسرة دورا هاما ومحوريا في نجاح الأبناء وتمتعهم بفرص تعليمية مناسبة، لما ينجم عنه من تلبية حاجياتهم المادية من مأكّل، وملبس، ووسائل تعليمية، ورحلات، وكتب ومجلات وغيرها من الحاجيات الضرورية التي يحتاجها الأبناء في حياتهم الاجتماعية أو المدرسية، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا من خلال توفر رأسمال اقتصادي جيد.

3- الرأسمال الاجتماعي: يمثل الرأسمال الاجتماعي مجموع الاتصالات، والعلاقات، والمعارف، والصدقات، والسندات التي تمنح للأفراد قدرا معينا من المتانة الاجتماعية،

فقدرة الفعل ورد الفعل الملائم يكون بفضل كم ونوعية هذه العلاقات والروابط، وصلاته مع أفراد آخرين، فالرأسمال الاجتماعي هو مجموع الموارد الحالية أو الكامنة التي تكون مرتبطة بجزية شبكة دائمة من العلاقات المؤسسة من معارف متبادلة ومتداخلة في إطار الانتماء إلى جماعة معينة أعضائها موحدون بروابط دائمة ومنفعية، مما يمنح كل عضو من أعضائها سندا من الثقة والأمان الجماعي (شوفالبييه، شوفيري، 2013، ص ص 163، 164)، وهذا يعني أن العلاقات التي يكونها الأفراد تمثل مصدرا قويا للحصول على منافع وأرباح، ويعتمد حجم رأس المال الاجتماعي الذي يتحصل عليه فاعل معين على حجم شبكة العلاقات التي يمكنه إدارتها بكفاءة، ويعتمد كذلك على كم رؤوس الأموال الأخرى، كرؤوس الأموال الثقافية والاقتصادية والرمزية التي يمتلكها الفاعلون الآخرون المشاركون في شبكة العلاقات (عبد العظيم، 2011، ص64).

خامسا: الخيارات المدرسية: بأي مقارنة سوسولوجية؟

ثمة تيار نظري قائم على النزعة الفردانية المنهجية، يسير في اتجاه دحض النظريات الماكرو- سوسولوجية التي تقوم على الحتمية الاجتماعية، والتي تجعل الفرد نتيجة للظواهر الاجتماعية. ويعتبر "ريمون بودون" أب التيار الفردي في علم الاجتماع الفرنسي، وكواضع لأسس الفردانية المنهجية التي تتجه نحو ذلك التيار الذي يكرس التفاوت في النجاح المدرسي، باعتباره نتاج تضافر عوامل عديدة راجعة إلى معطيات فردية يسعى كل من ممثلها إلى نفع شخصي، ومن هذا المنطلق يكون وجه الاختلاف في التوجيه المدرسي تعبيرا عن اختلاف في ضروب السلوك بين هؤلاء الأفراد، فإذا كانت العوامل الاجتماعية والثقافية ذات دور في تحديد القرار الشخصي للفرد، فإن هذا لا ينفي أهمية دور الأفراد في هيكلية المؤسسات وتسييرها وإمكان تغييرها (بودرمين، 2013).

إن الفردانية بالمعنى الذي استخدمه "بودون"، وقبله "ماكس فيبر" تستند في تحليلاتها لتفسير ظاهرة اجتماعية معينة، تربوية أو سياسية أو اقتصادية إلى الوقوف بعمق على فهم الأفراد، والبحث عن المعنى الذي يقف وراءه، والتي تدفع الفاعلين العقلانيين إلى أن يقرروا، ويتصرفوا كفاعلين اجتماعيين.

إن قطاع التربية والتعليم في نظر "بودون" هو مسرح لظهور الأزمات والصراعات الاجتماعية التي تبرزها علاقات الترابط بين الفاعلين الاجتماعيين والقائمة على سلوكياتهم وأفعالهم وليس نتيجة لعلاقات السيطرة، وهكذا فاللامساواة في الحظوظ التعليمية في نظره لا تخضع دائما للنظام بفعل التوتر والصراع الناتج عن تباين مصالحهم في منظومة التربية والتكوين. وفي كتابه "L'inégalité des chances" حول عدم تكافؤ الفرص، عمد إلى بناء نظرية ميكرو-سوسيولوجية تفسر إشكالية التفاوت في التعليم، بواسطة الخيارات الفردية العقلانية للأفراد الفاعلين (عماد، 2017، استرجع من الموقع الإلكتروني: www.ahewar.org).

يرى "بودون" أن المدرسة ليست المجال الذي يفرض منطقته على الفاعلين الذين يشغلون وضعيات مختلفة في المجال الاجتماعي، بل هو حقل ينجز فيه الأفراد استراتيجياتهم ويمتحنونها (بودون، 2015، ص 187)، كما يرى أنه لا يجوز اعتبار النظام التربوي مسؤولا عن إنتاج التفاوت الاجتماعي بل يرجع التفاوت في الفرص الدراسية إلى اختلاف احتمال الوصول إلى مختلف مستويات الدراسة تبعا للأصل الاجتماعي (بودون، فيول، 2010، ص 56)، إنه محصلة تراكم القرارات الفردية في كل مرحلة تعليمية، وهو يقود على جعل أبناء الطبقات العليا يتابعون دراساتهم الجامعية، بينما أبناء الطبقات الدنيا غالبا ما يتوقفون عن متابعة دراساتهم حالما يصلون إلى مرحلة

تحقق تقدماً وترقياً نسبة إلى أصلهم، وينتقلون في وقت مبكر إلى سوق عمل يتناسب مع مستواهم السابق أو أفضل قليلاً (عماد، 2017).

ويظهر التفاوت أيضاً بشكل واضح جداً في مختلف نقاط التفرع الدراسي، أي في الأوقات التي يقرر فيها الطلبة توجههم الدراسي بشأن المستقبل (بودون، فيول، 2010، ص57)، بحيث يقف الابن وأسرته عند كل تفرع دراسي ليقرر الاتجاه الذي يسلكه (يتابع، يتوقف)، وعند نهاية كل منها يتوجب على الابن وعائلته اتخاذ خياراته المناسبة، وهذه الخيارات تختلف باختلاف الوضعية الاجتماعية للأبناء (عماد، 2017).

وتتلخص إحدى نقاط التفرع الدراسي في: الاتجاه نحو الدراسات طويلة المدى والتي تؤهل الطالب إلى الوصول إلى المستويات الدراسية الأعلى، أو نحو الدراسات قصيرة المدى والتي تبقى الطالب في مستويات دراسية أدنى (بودون، فيول، ص57)، وغالباً ما يتجه أبناء الأسر الميسورة الحال وأبناء الكوادر العليا (أطباء، مهندسون، أساتذة، قضاة...) نحو الدراسات طويلة المدى على عكس الأبناء المنحدرين من أوساط اجتماعية دنيا يتجهون نحو الدراسات قصيرة المدى، وهذا راجع إلى تكلفة التكوين والعائد منه، وإلى حاجة هؤلاء الأبناء لتلبية حاجياتهم وتحسين أوضاع أسرهم.

وهنا يتضح أن الأفراد يتخذون قراراتهم بخصوص خياراتهم المدرسية بناءً على ثلاثة مؤثرات: (عماد، 2017)

- الكلفة المترتبة لقاء متابعة المسار التعليمي الطويل.
- العائد أو المنافع التي سيحنيها الفرد إذا قرر متابعة دراسته.
- الإرهاصات والمشاكل التي قد يواجهها في حال متابعة مساره التعليمي، وتمثل في احتمال الرسوب أو التأخر في بلوغ الأهداف أو في عدم الحصول على وظيفة تناسب مستوى شهادته.

إن هذه المؤثرات يختلف تقييمها بين الأبناء والأسر تبعاً للأصل الاجتماعي والكلفة والمردود المتوقع، وهو ما يقودهم إلى خيارات متفاوتة تعكس التفاوت الاجتماعي الذي يمثلونه.

إضافة إلى ذلك، فكل تلميذ يحدد طموحاته تبعاً للفئة الاجتماعية التي ينتسب إليها، وأبناء الطبقات الدنيا ينقصهم الطموح، فالتوجه إلى الدراسة طويلة المدى بالنسبة لابن العامل البسيط يوفر له إمكانية الحصول على مكسب مهم على صعيد الكيان الاجتماعي المستقبلي، ولكن التكاليف المالية ستشكل عبئاً على الأهل لا يستهان به، وبالتالي فالتوجه إلى الدراسات قصيرة المدى، هو الحل الأمثل حتى وإن حققوا نتائج دراسية جيدة تؤهلهم لمواصلة الدراسات طويلة المدى، وهو ما يبعث لدى الابن الوصول إلى وضع مماثل لوضع والديه. أما بالنسبة لأبناء الطبقات الاجتماعية العالية فالتوجه للدراسات طويلة المدى يجلب لهم مكاسب كبيرة، لأنه يتيح لهم، في حال النجاح، إمكانية بلوغ مستوى دراسي عالٍ يسمح لهم بالحصول على شهادات عليا، وتقلد وظائف مرموقة، وبالتالي الوصول على كيان اجتماعي قريب من وضع أهلهم أو أفضل منه (بودون، فيول، 2010، ص ص 62،63)، مما يمكن الأبناء، من إنتاج هوياتهم الفردية وفي نفس الوقت إعادة إنتاج هوية أسرهم الاجتماعية، وبالتالي إضفاء الشرعية التي تحافظ بها على مكانتها وترتيبها في السلم الاجتماعي.

سادساً: إستراتيجية إنتاج الخيارات المدرسية للأبناء: إستراتيجية فاعلين أم رغبة

آباء؟

إن مفهوم الإستراتيجية هنا يشير إلى سلسلة منسقة من الإجراءات والأفعال والأساليب التي تتبعها الأسرة مع أبنائها، أو يتبعها الأبناء بمفردهم، بهدف إنتاج وبناء

خيارات عقلانية خلال مساهمهم الدراسي، واتخاذ القرارات المناسبة التي تسمح لهم بتحقيق أهدافهم وطموحهم.

ويعد المسار التعليمي للأبناء خيار من الخيارات المتاحة أمام الأسر لتمارس فيه ثقافتها وإيديولوجيتها، التي تسمح لأبنائها بالوصول إلى وظائف عليا ومهن تتوارث من جيل إلى جيل آخر (بودبزة، 2015، ص 23) "فللعائلة قوة جاذبة لتحديد حركية الأفراد للأعلى كما للأسفل، وهي توجه الأفراد في اتجاه إعادة إنتاج البنات الاجتماعية" (إدريس، 2019، استرجع من الموقع الإلكتروني: www.ahewar.org) ، وهي لقاء ذلك تقوم باختيارات إستراتيجية عقلانية مع أبنائها لبناء مستقبلهم.

إن الفرد في حياته يمر بفترات مختلفة، تنمو فيها سلوكياته الاختيارية مع نمو شخصيته وتتطور إلى أن يصبح قادرا على اتخاذ قراراته بنفسه، وتأخذ الأسرة حصة الأسد في إثارة الطموح لدى الأبناء وفي تربية اختياراتهم منذ الصغر، فهي الوسط الاجتماعي الذي تحدث فيه "استجابات الطفل الأولى نتيجة التفاعلات المستمرة التي تنشأ بينه وبين والديه وإخوته، فللأسرة وظيفة اجتماعية هامة، إذ هي العميل الأول في صبغ سلوك الطفل صبغة اجتماعية" (إدريس، 2019) عن طريق عملية التنشئة الأسرية التي يتم بواسطتها نقل الرأسمال الثقافي للأبناء، وهنا يلعب الوالدان الدور الكبير في نقل هذا الرأسمال، من خلال ممارسات ثقافية (كتب، مجلات، مسارح، نشاطات رياضية وترفيهية، حفلات،...) تنمي اتجاهاتهم التي تُنمّن من خلال المدرسة، والتي توجه إلى سوق العمل، كذلك تعمل الأسرة على تحويل الرأسمال الاقتصادي إلى رأسمال ثقافي من خلال شراء نوعية العرض الدراسي، وذلك بالاتجاه إلى التعليم الخاص سواء من خلال الخيارات الإقامية، غير أن هذه الخيارات تتميز بأنها مكلفة اقتصاديا.

إضافة إلى ذلك فإنه هناك عامل نفسي تقوم به الأمهات خاصة، وهو كيفية إقناع الأبناء بالأهداف المرجو تحقيقها، والتي يرغب فيها الآباء، وبطريقة غير مباشرة يقوم

الآباء بإقناع أبنائهم أن هذه الخيارات نابعة من ذواتهم (بودبزة، 2015، ص ص193،192).

وكثيراً ما يقوم الوالدان برسم مستقبل أبنائهم، بالتركيز على مجموعة من الخيارات: - بدءاً باختيار المؤسسة التربوية التي سيزاولون تعليمهم فيها، والتي يعتقدون أنها قادرة على تعزيز نجاح أبنائهم، مؤسسة تربوية تتميز بسلوكها الجيد، يسودها الانضباط وذات سمعة طيبة، وتمتلك معلمين أكفاء، أو تختار الأسرة لأبنائها ما بين المؤسسة الحكومية أو الخاصة.

- مروراً باختيار الشعبة و التخصص الدراسي؛ إذ تختار الأسرة لأبنائها ما بين التعليم العام والتكنولوجي، أو ما بين العلوم الطبيعية والآداب.

- وصولاً إلى اختيار التكوين قصير المدى أو طويل المدى، وما بين الجامعات والمعاهد والمدارس العليا، وتعتبر عملية الاختيار هنا عملية مصيرية في حياة الأبناء بحيث تحدد مستقبلهم السوسيو مهني، وترسم لهم معالم النجاح أو الفشل في الحياة. وتتبع الأسرة لأجل ذلك استراتيجيات عديدة من بينها: (بودبزة، 2015، ص 194)

1- إستراتيجية لاستثمار الرأسمال الثقافي والرأسمال الاقتصادي.

2- إستراتيجية للحراك الاجتماعي.

3- تكييف الممارسات تجاه المدرسة.

4- متابعة عمل المدرسة.

إن الفعل التربوي الأسري يتوسع من خلال سوق الأدوات البيداغوجية (كتب، مجلات، كراريس للعطل، وسائل تكنولوجية وبرامج تربوية إلكترونية...)، إلى جانب شبكة العلاقات في محيط المدرسة، أين يربط الآباء علاقات جيدة مع المدرسة، بالاحتكاك مع أساتذة أبنائهم ومدراء مدارسهم، فتتأسس لديهم شبكة الأحكام التي

بواسطتها يدرك الآباء هل يوجد في المدرسة العرض الذين يبحثون عنه أو يتوجب تغييرها.

إضافة إلى أنه "لا يمكن تصور طالب يتفوق دراسيا دون مستوى لائق من الطموح، وذلك لأن طموحه المتمثل في عكسه لطموح عائلته يلعب دورا مهما في الدفع به نحو تحقيق المزيد من التحصيل والتفوق والامتياز والتفرد، إذ أن الخلفية الأسرية والقيم الوالدية لها حثيث الأثر على تحصيل الأبناء" (إدريس، 2019)، فكلما كان الطموح مرتفع، كلما كان النجاح والتفوق، وبالتالي الحصول على خيارات متنوعة تعكس النتائج المتحصل عليها ويصبح الأبناء هنا أكثر عقلانية في اتخاذ قراراتهم، وبالنسبة لـ "ريمون بودون" الطموح والإستراتيجية هما المؤشران المحددان للتفاعل مع المجال الاجتماعي للآباء.

إذا فالأسرة تقوم بدعم وتوجيه أبنائها في المدرسة، وتختار معهم الطريق والاتجاه والمستقبل الذي لا بد منه، مع مراعاة قدرات الأبناء وتطلعاتهم وامتثالهم الطبقي، وهي نظير ذلك تقوم باختيارات إستراتيجية عقلانية تسهل على الأبناء إنتاج هوياتهم الفردية والجماعية.

سابعا: الخيارات المدرسية لدى أبناء الأسرة الجزائرية

إن الأسرة الجزائرية اليوم تلعب دورا فعلا ومحوريا في دعم وتوجيه الأبناء في مسارهم الدراسي، وتغرس فيهم بذور توجهاتهم المستقبلية، وترسم لهم الطريق الذي يجب أن يسلكوه موازاةً مع التحولات التي مست كافة مجالات الحياة الاجتماعية، وهذا ما أثبتته العديد من الدراسات في مجال التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني. ويعود سبب اهتمام الأسر بدعم الأبناء وتوجيههم إلى ارتفاع المستوى التعليمي والثقافي لدى أغلب الأسر، والتفتح على العالم بفضل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، إضافة

إلى غلبة النظرة المادية على الحياة الاجتماعية بفعل التغيرات والتطورات التي طرأت على عالم الشغل، وكذلك الأهمية التي تكتسيها المهنة في حياة الفرد، فالأسر اليوم تختار مع أبنائها الشعبة الأكثر التصاقا بسوق العمل، والشعبة والأكثر عملية ونفعا، وهي نظير ذلك تقوم باختيارات إستراتيجية.

ورغم ذلك تأتي خيارات الأبناء المدرسية في مقدمة المشاكل التي تعترضهم، وتضع أمام الأسرة والمدرسة والمجتمع تحدّ كبير، فقد يختار الأبناء بدفع من أسرهم أو أحد أقاربهم أو بمحض إرادتهم، لكن غالبا ما يوجهون إلى الشعب والتخصصات الدراسية وفق الخريطة المدرسية، فالواقع يثبت أن عملية التوجيه لم تعد سوى عملية توزيع التلاميذ على الأفواج التربوية، حيث أصبحت تتحكم فيها إمكانات المؤسسة التعليمية، وعدد المقاعد البيداغوجية، ويتم توزيعهم على مختلف التخصصات الموجودة دون مراعاة ميولهم ورغباتهم ولا طموح أسرهم، فهو إذا؛ توجيه يعتمد على اعتبارات كمية لا كيفية. هذا بالنسبة للتلاميذ الذين يحصلون على معدلات حسنة، أما بالنسبة للتلاميذ الذين يحصلون على معدلات ممتازة فلهم كامل الحرية في تجسيد الخيار الأفضل والأضمن لهم للوصول إلى الدراسات العليا.

أما الخيارات المدرسية الأخرى فنجد أن الأسر تختار مع أبنائها ما "بين المؤسسة التربوية القريبة أم البعيدة وبين الأساتذة الأكفاء وغيرهم، وبين الدروس الخصوصية والدروس الرسمية، والدعم في اللغات الأجنبية وحتى العربية، واللجوء للمدرسة الخاصة إذ طاهم الرسوب بزيادة الإنفاق لضمان النجاح، لأن التعليم تظهر اجتماعي بالنسبة للأسر الغنية، فهي لا تبحث عن الوظيفة من ورائه، ولكنها تبحث عن الوجاهة" (بودبزة، 2015، ص 185).

خاتمة: واختصارا لما سبق، يمكن القول أن الأسرة وحدة اجتماعية مصغرة، تهتم بتربية الأبناء وتنشئتهم، ولها دور كبير في تربية سلوكياتهم الاختيارية وبلورة أذواقهم واهتماماتهم في مختلف مراحل حياتهم، وتعد المسؤول الأول في تشكيل شخصية الأبناء وفق نماذج اجتماعية وثقافية سائدة، تسمح لهم باكتساب قيم ومعايير وطرق التفكير التي تمكنهم من الاندماج في المجتمع .

وتسعى الأسرة جاهدة للاستثمار في المسار التعليمي لأبنائها، وهي نظير ذلك تقوم بدعم وتوجيه الأبناء توجيهها سليما في المدرسة، وتغرس فيهم بذور تطلعاتهم، وترفع من مستوى طموحهم، وتتبع لأجل ذلك أساليب واستراتيجيات عقلانية مبنية على ما تتوفر عليه الأسرة من رؤوس أموال اقتصادية واجتماعية وثقافة، بحيث تسمح هذه الإستراتيجيات باتخاذ قراراتهم فيما يتعلق بالخيارات المدرسية المتنوعة. فالأسرة ترسم مع أبنائها المستقبل والطريق الذي لا بد منه لتحقيق نتائج أفضل، وتجسيد الخيار الأحسن والأنسب طول المسار التعليمي، مع الأخذ في الحسبان أصلهم الاجتماعي وميولهم وتطلعات أسرهم، بما يسمح لهم الوصول إلى الدراسات العليا التي تمنحهم مكانة متميزة في المجتمع، بحيث تمكن من المحافظة على المكانة الاجتماعية للأسرة وانتماءها الطبقي، وتساهم في توريث أصلها الاجتماعي جيلا عن جيل.

قائمة المراجع:

- 1- إدريس، عبد النور. (2019). نظرية الاستراتيجيات الفردية بين الميكانيزمات العامة والخاصة، استرجع من الموقع www.ahewar.org ، (14: 10- 2021/05/06).
- 2- بودبزة، ناصر. (2015). الواقع الاجتماعي التربوي لعائلات الطبقات الوسطى في الجزائر وإنتاج المشروع المهني لأبنائها. أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر.
- 3- بودون، ريمون و فيول، ريتو. (2010). الطرائق في علم الاجتماع. ترجمة مروان بطش، ط1، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- 4- بيومي، أحمد محمد وناصر، عفاف عبد الحليم. (2005). علم الاجتماع العائلي: دراسة المتغيرات في الأسرة العربية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- 5- الدسوقي، كمال. (1988). ذخيرة علوم النفس: تعريفات- مصطلحات- إعلام. القاهرة: إصدار الأهرام.
- 6- وطفة، علي أسعد، والشهاب، علي جاسم. (2004). علم الاجتماع المدرسي: بنوية الظاهرة المدرسية ووظيفتها الاجتماعية. ط1، بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع.
- 7- وطفة، علي أسعد. (2011). تكافؤ الفرص الأكاديمية في جامعة الكويت: تأثير متغيرات الوسط الاجتماعي. ط1، الكويت: مركز دراسات الخليج والجزيرة العربي.
- 8- زيان، فتيحة. (2019). الأصل الاجتماعي وتعلم اللغة الفرنسية. أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر.
- 9- مبارك، الكندري، أحمد، محمد. (1988). علم النفس الأسري. ط2، الكويت: مكتبة الفلاح.
- 10- الناعوري، سعاد عسكارية و مزاهرة، أمين سليمان. (2009). التربية والثقافة الأسرية. عمان: دار المناهج للنشر والتوزيع.
- 11- معاش، حسن. (2018). الأصل الاجتماعي للأسرة وانعكاساته على اتجاهات الأبناء (12- 17 سنة) نحو ممارسة رياضة السباحة. أطروحة دكتوراه، معهد علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية، جامعة أكلي محمد أولحاج، البويرة، الجزائر.
- 12- عماد، عبد الغني. (2017). ريمون بودون... المنهجية الفردانية في مجال التربية، استرجع من الموقع www.ahewar.org ، (34: 09- 2021/04/17).

- 13- عبد العظيم، حسني إبراهيم. (2011). الجسد والطبقة وراس المال الثقافي: قراءة في سوسيولوجيا بيير بورديو. مجلة إضافات، (5)، الجمعية العربية لعلم الاجتماع بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية. ص ص 55-63.
- 14- فرج الله، صورية. (2019). سوسيولوجيا الإخفاق المدرسي وعلاقته بالأصل الاجتماعي. مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، 11(2)، ورقلة، الجزائر، ص ص 37-50.
- 15- شوفالييه، ستيفان و شوفيري، كريستيان. (2013). معجم بورديو. ترجمة الزهرة إبراهيم، ط1، سورية: الشركة الجزائرية السورية للنشر والتوزيع.
- 16- الخويلدي، زهير. (2013). نظرية الهايتوس والرأس مال الرمزي عند بيير بورديو، استرجع من الموقع www.ahewar.org، (22:04- 2021/05/05).
- 17- ضويفي، بشير. (2018). دور الأسرة في بناء المستقبل المهني لدى الأبناء: دراسة متمحورة حول البعد السوسيو ثقافي في المجتمع الجزائري. مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، (10)، جامعة الجزائر2، الجزائر، ص ص 310-317.
- 18- غيث، محمد عاطف. (2005). قاموس علم الاجتماع. مصر: دار المعرفة الجامعية.